سياسات دول الطوق العربية تجاه منظمة التحرير الفلسطينية (١٩٦٤ ـ ١٩٨٢)

حسين حجازي

ربما لم يتوفر لقضية ان شغلت حيّزاً من الاهتمام والجدل في اوساط الرأي العام الفلسطيني، على النحو الذي استغرقه النقاش بصدد العلاقة الفلسطينية مع الدول العربية المحيطة بفلسطين، والذي درج على تسميتها بدول الطوق. ان هذا الاهتمام يجد دافعه، اساساً، في طبيعة التشابك والتداخل كسمة حتمية لهذه العلاقة، التي يجعل منها معطى قائماً بذاته. بيد انه توجد عوامل عديدة ساهمت، في الماضي، كما هو الحال في الوقت الراهن، في اضفاء مسحة من التراجيديا على هذه العلاقة، التي كانت طوال الماضي مثقلة بالتوتر المتبادل، وتكتنفها مشاعر الاحباط وخيبات الامل، الامر الذي ولد نوعاً من الاقتناع، ليس في صفوف النخب السياسية الفلسطينية فسحب، وانما بقدر لا يقل على المستوى الشعبي أيضاً، بأن بعض تلك الدول لم يكن اسهامه أقل في التسبب في المحنة الدائمة التي واجهتها القضية الفلسطينية.

ان ثقل هذا الاحباط، والتوتر، ناتج، بصورة اساسية، عن تراكم طويل من التفاعل المتبادل، اتسم، عموماً، بالسلبية؛ قد تنوعت مظاهره باشكال عدة، بدءاً من فرض الوصاية القسرية على الفلسطينيين ومحاولة اقصائهم وحرمانهم من التعبير الذاتي عن هويتهم المستقلة، كما تجلى ذلك في الفترة الممتدة طوال الخمسينات وحتى بداية الستينات، مروراً بوسائل الضغط العسكري، والسياسي، الذي مارسه بعض هذه الدول على الفلسطينيين، خلال مسلسل الحروب والتصفيات الدامية، كما حدث في «أيلول الاسود» ١٩٧٠ و ١٩٧١، في الاردن، وفي لبنان خلال المراحل المختلفة للحرب الاهلية اللبنانية، والتي وصلت ذروتها، أخيراً، في الحصار الذي استمر نحو ثلاث سنوات على المخيمات الفلسطينية، وهو الحصار الذي تجاوز وقتاً أطول من الحصار الشهير الذي تعرضت له مدينة ستالينغراد، دون ان نتجاهل الاشكال الاخرى للاعيب السياسية بين هذه البلدان، التي جعلت من القضية الفلسطينية ميداناً لمزايداتها السياسية، وتنافساتها البهلوانية، وحاولت ان تفرض هيمنتها على المنظمة لالحاقها بهذا الاتجاه أو ذاك، في ظل بروز وطغيان النزعة الاقليمية.

قصارى القول، لقد كان مسار العلاقة بين المنظمة وتلك البلدان مخيباً للآمال والتوقعات بصورة عامة. والحال، ان البحث عن تبريرات لتأكيد هذه الاستنتاجات، غير السارة، ليس هدفاً جديراً بالاهتمام؛ اذ ان التجربة العربية عموماً، على صعيد العلاقات العربية ـ العربية، ليست أفضل حالاً؛ وهكذا يجدر ان ننظر الى تجربة العلاقة بين المنظمة ودول الطوق، باعتبارها غير مستثناة من القاعدة، وان كانت هذه العلاقة اتسمت باشكال مضاعفة على نحو استثنائي. ومع ذلك، فليس من